

أيوب عليه السلام في شعر شاذل طاقة على ضوء الرمزية : دراسة قصيدتي "انتصار أيوب" و "هموم أيوب" أنموذجا

مريم بخشنده^١، احمدرضا حيدرمان شهري^٢، كلثوم صديقي^٣

١. طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي مشهد، مشهد

٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي مشهد، مشهد

٣. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي مشهد، مشهد

(تاريخ الاستلام: ٢٩/١١/٢٠١٧؛ تاريخ القبول: ١/٧/٢٠١٨)

الملخص

لجأ الشعراء المعاصرون لأسباب مختلفة سياسية واجتماعية وأخرى نفسية ذاتية إلى استخدام الرمز وسيلة فنية للتعبير عن تجاربهم المعاصرة، ومنهم شاذل طاقة احد رواد الشعر العراقي الحديث الذي استخدم رموزا متنوعة في شعره، منها الرموز التاريخية والأدبية والإسلامية والدينية. ويحاول هذا المقال عبر المنهج الوصفي التحليلي دراسة شخصية أيوب عليه السلام في شعره مع التركيز على قصيدتيه "انتصار أيوب" و "هموم أيوب". وقد غدا أيوب عليه السلام لتحمله المشاق وصبره على البلايا وشكره لله تعالى مضرب الأمثال في ذلك، وشاع بهذه الدلالة في الشعر الحديث، ووظفه شاذل طاقة في شعره سعيا لبعث روح الصبر على المصائب والأمل بالنجاح في نفسه ومواطنيه. ورغم أن شاذل طاقة شاعر كبير ذو موهبة شعرية ثرية لكن النقاد لم يهتموا به وبشعره، فيبقى رائدا منسياً قررنا أن نعرفه ونعرف شعره عبر دراسة قصيدتيه المذكورتين ومعالجة رمز أيوب فيهما. وتشير النتائج الحاصلة عن هذا المقال أن الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة في العراق والعالم العربي وكذلك ظروف الشاعر الجسمانية أثرت تأثيرا بالغا على نفسيته وجعلته يوظف شخصية أيوب عليه السلام في شعره ويستلهم ملامحها القرآنية للتعبير عن هواجسه وأوجاعه الشخصية والاجتماعية فتظهر هذه الشخصية بصور عدة ورموز مختلفة في أشعاره منها: أيوب رمز لتموز، أيوب رمز للفلسطيني المظلوم، أيوب رمز لفلسطين، محن أيوب وهمومه و... ..

الكلمات الرئيسية

الأمل، أيوب، الرمز الديني، الرمزية، شاذل طاقة، الصبر.

مقدمة

الرمز ملكة أساسية في الفكر البشري، إذ عرفه الإنسان منذ أقدم الزمن . ويعود توظيفه إلى بداية الأدب نفسه. وهو في اللغة: الإشارة والإيماء (ابن منظور، ١٩٨٨: مادة "ر م ز") وفي الإصطلاح الأدبي: «علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر ودالة عليه، فتمثله وتحل محله» (التونجي، ١٩٩٩: ٤٨٨). لكن الرمز لم يعرف بمعناه الإصطلاحي إلا في العصر العباسي على يد قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" حيث انتقل من معناه الحسي اللغوي إلى مصطلح أدبي. لكن الرمز بقي على مفهومه الإشاري اللغوي الخاضع لمفهومه القديم - يعني المجاز - ولم يتجاوزه إلا في القرن التاسع عشر، حيث ظهرت الحركة الرمزية في الغرب ثم انتقلت إلى الأدب العربي في القرن العشرين على يد الأدباء والرواد منهم سعيد عقل، عبدالرحمن شكري، احمد زكي أبوشادي... ولجأ الشعراء المعاصرون إلى هذا المذهب لأسباب مختلفة سياسة واجتماعية ونفسية وثقافية للتعبير عن مشاعرهم ومكونات صدرهم بصورة غير مباشرة، مستعينين رموزهم من التراث. وللتراث مصادر متنوعة؛ فمنها التراث العالمي ومنها التراث الشعبي وكذلك التراث التاريخي والتراث الأدبي والتراث الديني والتراث الصوفي. وبطبيعة الحال أن التراث الديني والشخصيات الدينية وخاصة الأنبياء تعد حقلًا خصبا للتحوّل إلى رموز بما تحمّل من دلالات وطاقات احيائية وبما يشعر الشعراء بارتباط وثيق بينهم وبين الأنبياء إذ لكلّ منهما رسالته الخاصة التي يسعى لإيصالها إلى الناس ويعاني في هذا المجال.

ومن أهم الشخصيات الدينية التي استرّفها الشعراء في قصائدهم هي شخصية أيوب عليه السلام. وقد أخذت في قصائد الشعراء دلالات متنوعة وكثيرة. ومن أهم الشعراء الذين وظّفوا هذه الشخصية في قصائدهم هو شاذل طاقة. وإنه من الشعراء الرواد الأوائل للقصيدة الحرة مع بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة، ولكنّه - بخلاف زملائه - لم يحظ باهتمام يستحقّه؛ فعده بعض النقاد رائداً منسياً. استخدم الشاعر الرمز والأسطورة في شعره واستدعى الشخصيات التراثية كتقنية من تقنيات الشعر الحديث. ونرى في شعره رموزاً من القرآن الكريم، ورموزاً تاريخية وعربية، وحكايات شعبية، ورموزاً من الأماكن العربية ومن التراث الديني، مثل هابيل وقابيل، وأيوب عليه السلام، ومريم عليه السلام، والمسيح عليه السلام، والخضر، ويهوذا، والقدس. وايضا ترددت في شعره الرموز الاسلامية مثل الحسين وأبي ذر الغفاري وصلاح الدين الأيوبي، والشخصيات العربية مثل المناضلة الجزائرية جميلة

بوحيرد. ولكنّه خلافاً لكثير من الشعراء العرب المعاصرين لم يستخدم الرموز والأساطير الأجنبية في شعره، وبذلك اكتسب شعره لونا قومياً خاصاً يتفرد به.

أسئلة البحث

الأسئلة الهامّة التي نحاول الإجابة عنها في هذا المقال هي:

١. كيف وظّف الشاعر شخصيّة أيوب في شعره؟

٢. إلّا ما ترمز هذه الشخصيّة عنده؟

فرضيات البحث

١. يبدو أنّ شاذلاً وظّف شخصيّة أيوب بشكل رمزي واستخدم تقنية القناع للتعبير عن تجربته المعاصرة عبر هذه الشخصيّة.

٢. يبدو أنّ هذه الشخصيّة ظهرت في شعر شاذل بصور مختلفة ورموز عدّة منها: أيوب رمز للشاعر بدر شاكر السياب، أيوب رمز لتموز، أيوب رمز للفلسطيني المظلوم، محن أيوب وهمومه...

للحصول على إجابة مناسبة عن السؤالين المذكورين جرت دراسة قصيدتي "انتصار أيوب" و"هموم أيوب" للشاعر عبر المنهج الوصفي التحليلي. ومن خلال مقدمة موجزة تمّ في البدء تقديم سيرة قصيرة للشاعر وتجربته الشعريّة. وبعد دراسة تصوير أيوب في الأدیان والأدب، كان الحديث عن الدوافع الهامّة لتوظيف رمز أيوب في قصائده، ثم التعليق على القصيدتين المذكورتين ودراسة رمزيّة أيوب فيهما.

الدراسات السابقة

لم يهتمّ النقاد والأدباء الإيرانيون بشاذل طاقة وشعره فلا يوجد أيّ مصدر ومرجع عنه وعن شعره في داخل البلد، وأمّا في خارج البلد فقد اهتمّ عدد من النقاد والأدباء العرب المعاصرين بشعر شاذل طاقة، ومنهم: ماجد السامرائي في كتابه "شاذل طاقة، دراسة ومختارات"، وفي مقاله "ربع قرن على غياب الشاعر شاذل طاقة، البعد الآخر للحداثة في الشعر"، وسعد البزّاز في مقاله "شاذل طاقة السيرة والإنجازات"، وبشرى البستاني في كتابها "في الريادة والفن، قراءة في شعر شاذل طاقة"، وطُبعت مقالتان أدبيتان حول توظيف رمز أيوب في الشعر العربي المعاصر وهما "القناع في شعر بدر شاكر السياب: قصيدة سفر

أيوب نموذجاً لحامد صدقي ورضوان باغباني وموضعها رمزية أيوب وقتاعه في القصيدة المذكورة، و"خوانشهاي گوناگون شاعران معاصر از داستان حضرت أيوب عليه السلام" لعلي نجفي ايوكي التي درس فيها استدعاء شخصية أيوب عليه السلام عند ثلاثة من الشعراء المعاصرين هم بدر شاكر السياب، محمود درويش وعبدالعزیز المقالح، وكيفية استخدام هذا الرمز ودلالاته عندهم، بعد معالجة هذه الشخصية في الأديان السماوية (اليهودية والإسلام)، غير أننا لم نعثر بين الكتب والمقالات المكتوبة حول شعر شاذل طاقة على شيء في مجال صورة أيوب في شعره فأقبلنا على كتابة هذا المقال لدراسة شخصية أيوب عليه السلام في شعر شاذل بشكل تفصيلي مع التركيز على قصيدتيه "هموم أيوب" و"انتصار أيوب".

نظرة إلى حياة الشاعر

شاذل طاقة (١٩٢٩-١٩٧٤) شاعر وسياسي ودبلوماسي عراقي، من مؤسسي مدرسة الشعر العربي الحديث (الشعر الحر)، مع الشعّارين بدر شاكر السياب وعبد الوهّاب البياتي والشاعرة نازك الملائكة. ولد في مدينة الموصل العراقية يوم ٢٨ نيسان ١٩٢٩ وأكمل دراسته الإبتدائية والمتوسطة والثانوية في مدينته. (البيستاني، ٢٠١٠: ١٩) ثم التحق بدار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٤٧، وتخرّج بتوفّق عام ١٩٥٠ حاصلًا على شهادة الليسانس في الأدب العربي. (البزاز، ١٩٧٧: ٥١٦ و٥١٩) بعد ذلك عاد إلى مدينته واتّخذ التدريس مهنة له لمدة ثمانية أعوام. وفي سنة ١٩٥٩ سجّن بتهمة انتمائه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وبعد خروجه من السجن إلى آخر حياته تولّى مناصب عدة في وزارتي الثقافة والإعلام والخارجية حتى أصبح وزيراً لخارجية العراق سنة ١٩٧٤. (السامرائي، ١٩٧٦: ١٢) توفّي في نفس السنّة بشكل مفاجئ في العاصمة المغربية بتاريخ ٢٠ تشرين الأول أثناء حضوره اجتماع وزراء الخارجية العرب في مدينة الرباط آنذاك؛ إذ كان رئيساً للوفد العراقي في هذا الاجتماع. وقيل إنه دسّ له السم بالطعام فمات. والبعض يقول إنّه أصيب بنوبة قلبية. (السامرائي، ١٩٧٧: ٩)

تجربة الشاعر الشعرية

بدأ شاذل طاقة كتابة الشعر العمودي، ومن ثم الشعر الحر في سنّ مبكّرة. ونشرت قصائده في الصحف المحلية منذ أربعينيات القرن الماضي. والباحثون في قضية ريادة شعر التفعيلة يكادون يجمعون على كون طاقة من الرواد الأوائل في هذه الحركة، وليس من الجيل الثاني

كما عدّه بعضهم. (انظر عزالدين، ١٩٧٣: ٢٥١؛ صليبي العائدي، ١٩٨٠: ٢٦) وقد أكد ماجد السامرائي أنّ كتابة تاريخ مكتمل لحركة الشعر العربي الحديث تقتضي حضور شاذل طاقة شاعرا مجددا وصاحب تفكير تجديدي متقدم في مرحلته، وأنّ مكانته الريادية لم ينصفها المؤرخون لتلك الحركة كما كان ينبغي لها أن تُصَفَّ، فمقدمة شاذل لديوانه (المساء الاخير) حسب رأيه يجب أن توضع مع مقدمة نازك والسياب في سياق تاريخي وفني واحد... (انظر: السامرائي، ١٩٩٩: ٥-٦) وفي مقدمة هذا الديوان أطلق شاذل مصطلح الشعر المنطلق على الشعر الحرّ وهو يرى «أنّ هذا الضرب من الشعر (الشعر الجديد) ليس مرسلًا ولا مطلقًا من جميع القيود، ولكنّه يلتزم شيئًا وينطلق عن أشياء. ولعلّ من حقّ الفن أن يذكر أنّ هذا الضرب ليس مبتكرا، فإنّ جذوره ممتدة في الشعر الأندلسي، فهذا الديوان هو الديوان الرابع في هذه الريادة مع الملائكة والسيّاب والبياتي» (البستاني، ٢٠١٠: ٨٢).

اختلف الباحثون في تقسيم شعر شاذل على مراحل، والمعروف أنّه قسم على ثلاث مراحل: ١- الرومانسية او التمهيدية التي تمثّلت بديوان شاعرنا الأوّل "المساء الاخير" (١٩٥٠م) ومجموعة قصائد غير صالحة للنشر (١٩٥٦م) التي أصدرها مع ثلاثة من زملائه (يوسف الصائغ، وعبد الحليم اللاوند، وهاشم الطعان) ٢- الواقعية أو السّيايية التي تمثّلت بديوانه الثاني "ثم مات الليل" (١٩٦٣م) ٣- مرحلة الرّمز والأسطورة وهي المرحلة الأكثر نضجا. سواء في الفكر الذي قدّمته أم على المستوى الفني الذي حقّقه. والتي يتّخذ الشاعر فيها الرّمز والأسطورة أسلوبا في التعبير عن هواجسه النفسية وتجربته المعاصرة وهمومه القومية والانسانية، فينتقد فيها الحكم السائد في العراق قبل انقلاب تموز ١٩٦٨. وقد تمثّلت هذه المرحلة في ديوان "الأعور الدجال والغرباء" (١٩٦٩م) (انظر: صليبي العائدي، ١٩٨٠: ٢٣، ٣٤، ٥٨؛ المطليبي، ١٩٧٤: ٣٧) وديوانه الرابع "السندباديات" (صدر ضمن المجموعة الكاملة بعد وفاته عام ١٩٧٧م). وقد استطاع في ترميزه أن يمتلك الشرط الأكثر وعيا، إذ لم يذهب إلى الرّموز اليونانية التي كان الاهتمام بها وتوظيفها من عادات شعراء عصره، بل ذهب مبكرا إلى الرّموز العربيّة الإسلامية وبذلك تلوّن شعره في هذه المرحلة بلون قوميّ خاص، فأعاد شاذل طاقة - في قصائد هذين الديوانين - للشعر ارتباطه بالجماهير. وتواصل الرموز الدينيّة والتراثيّة حضورها عنده عبر الدواوين أنبياء ورسلا ومدنا دينيّة: النبي يونس، النبي أيوب، المسيح، هابيل وقابيل، الخضر، مكة... وما ينبغي ذكره هنا هو أنّ الشاعر كتب هاتين القصيدتين المدروستين عند الباحثين في هذه المرحلة.

صورة أيوب في القرآن والتوراة (الإسلام واليهود)

ورد اسم النبي أيوب عليه السلام في أربعة مواضع في القرآن الكريم، وقد أثنى الله تبارك وتعالى على عبده أيوب في كتابه الكريم ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص/٤٤) وقد كان أيوب عليه السلام دائم العودة إلى الله بالذكر والشكر والصبر، وكان صبره سبب نجاته وسرّ ثناء الله عليه. «أراد الله عزّ وجلّ أن يجعله مثالاً للبشرية فيبتليه بأعظم ابتلاء... ويكون الإبتلاء بأعظم ضررٍ يخطر على بال الانسان، إذ يصيبه بماله فيذهب به كلّه وبأهله أي بأولاده فيتوقّاهم جميعاً وبأصدقائه فينصرفون عنه وبصحتّه فتذوي وتذوب حتّى أصبح لا يقدر على القيام لا يقوى على الحركة والسّير» (الزين، ٢٠٠٥: ٣٧٨). وبعد عدّة سنوات يفتح الباري عزّ وجلّ مرّةً أخرى أبواب رحمته على عبده الصابر المتحمل، فيعيد عليه صحته وعافيته، «والنعم التي افتقدتها الواحدة تلو الأخرى، لا بل أكثر مما كان يمتلك من المال والزرع والغنم والأولاد، وذلك كي يفهم الجميع العاقبة الحسنة للصبر والتحمل والشكر» (مكارم الشيرازي، ١٣٨٤: ٣٣٩؛ رسولي محلاتي، ١٣٨٦: ٣٣٧).

«وكتاب التوراة الحالي بخلاف القرآن لم يعتبره من الأنبياء، وإنّما اعتبره أحد عباد الله المحسنين والأثرياء وذا عيال كثيرين. وورد في التوراة جزء خاص بأيوب وقبل موضوع مزامير داود وهذا الجزء يشتمل على ٤٢ فصلاً، كل فصل يشرح مواضيع مختلفة، وقد وردت في بعض الفصول مواضيع سيئة وقبيحة، ومنها ما ورد في الفصل الثالث الذي يقول «إن أيوب كان كثير الشكوى، في حين أنّ القرآن الكريم كان يعظّم ويشيد بمقام صبره وتحمله» (مكارم الشيرازي، ١٣٨٤: ٣٣٨ و٣٤٢).

أيوب في الأدب الرمزي

ظهرت شخصية أيوب عليه السلام في شعر شعراء المعاصرين رمزا للصبر على البلاء والايمان عند الشدائد والرضاء بقضاء الله. وأوّل من استخدمها بهذه الدلالة هو بدر شاكر السياب للتعبير عن تجربته المعاصرة وذلك حينما اشتدّ عليه المرض في آخر عمره ولم يجد بداً سوى الصبر على البلاء والاحتساب الراضي. وقد كتب قصيدتين استدعي فيهما هذه الشخصية مباشرة، هما قصيدتا "سفر ايوب" و"قالوا لأيوب" في ديوان "منزل الاقنان". (عشري زائد، ١٩٩٧: ٩٠) ويتحدّث الشاعر بلسان أيوب مخاطباً ربّه في قصيدة "سفر أيوب":

لك الحمد مهما استطال البلاء/ ومهما استبدّ الألم،/ لك الحمد، إنّ الرزايا

عطاء/ وإن المصيبات بعض الكرمّ (السياب، ١٩٧١: ج/٢٤٨)

فالسِّيَاب في هذه القصيدة يُبدي روحاً جديدة عالية من الصَّبْر والتحمّل والأمل متوجّهاً على لسان النبي أيّوب عليه السلام إلى الله يشكره على بلاياه الكبيرة، فهو يرى أنّ المصائب ما هي إلا عطاء وكرم من الله عزّ وجلّ، وهو شأن أيوب النبي عليه السلام .

ويرى البياتي أيّوب عليه السلام وآلامه ومعنه خير مثال للتعبير عن الأوضاع المضطربة بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، فهو يشبه جروحه بجروح أيوب ويرى آلامه ناتجة عن الثورة والدمّ الذي يطلب الثأر، فهو يستدعي أيوب عليه السلام متذكراً صبره وانتصاره على معنه للتوكيد على صبر واستقامة الثوار والعرب بعد هذه النكسة والأحداث التي أعقبتها:

أه لا تطرد عن الجرح الذباب / فجراحي فم «أيوب» / وآلامي انتظار / ودمّ

يطلب الثأر (البياتي، ١٩٩٥: ج٢/١٠٧)

ومن الشعراء العرب المعاصرين الآخرين الذين وظّفوا هذه الشخصية الدينية في أشعارهم: محمود درويش في قصائده "أبي" و"جواز السفر" و"مديح الظل العالي" و"جداريه"، والشاعر عبدالعزيز المقالح في قصيدة "أيوب المعاصر"، وكذلك سعدي يوسف في مرثيته "في ذكرى بدر شاكر السياب"، وسميح القاسم في "مفكرة من أيوب" و... .

دواعي توظيف رمز أيّوب عليه السلام لدى شاذل طاقة

للكشف عن دواعي استخدام هذا الرمز لدى شاذل طاقة لابدّ أن نعالج الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في بيئته، وحالات الشاعر النفسية وظروفه الجسمانية في تلك الفترة التي كتب فيها هاتين القصيدتين. ولاشك أنّ للأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في العراق والعالم العربي أثراً بالغاً في روحيات الشعراء وأفكارهم، كيف لا وأنّه شاعر ودبلوماسي ومناضل سياسي يرى تلك الأوضاع بعينه ويشعر بها بعمق وجوده. «ولقد اتّسمت المرحلة التي عاشها الشاعر من مولده حتّى دراسته الجامعية بالتوتر الشديد الناجم عن كون المرحلة تمتدّ بين حربين كونيتين اتّخذت من منطقة الوطن العربي ممراً يعبر منه المتحاربون، وهدفاً للتقسيم والاقْتسام ونهب الثروات. يضاف إلى ذلك على المستوى المحلي انفجار ثورة مايس عام ١٩٤١ ضد الخضوع للاستعمار والعملاء والحلفاء وضد المخططات التي ترسم لإحكام الشبّاك حول المنطقة العربية. وانتهت هذه المخططات بكارثة العرب الكبرى في احتلال فلسطين وتشريد أهلها وبناء دولة الكيان الصهيوني» (البيستاني، ٢٠١٠: ١٩). وإضافة إليها حرب حزيران عام ١٩٦٧ التي نتج عنها احتلال إسرائيل لأراضي الضفة الغربية وغزة وسيناء

والجولان وخلفت جراحات عميقة في الجسد والمعنويات العربية، فترى أن قصائد شاذل طاقة كأشعار الكثيرين من شعراء عصره تبنت منذ نهاية أربعينيات القرن الماضي قضايا الكفاح التحرري للشعب العربي، وتناولت أروع قصائده في مرحلة متقدمة من نضوجه الشعري محنة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي، فعبّرت بروح صادقة عذبة عن تلك المعاناة. وهو يسعى إلى بعث روح الأمل في النفوس ودعم الموقف المعنوي عبر التركيز على بثّ الدلالات المحفزة في هذا الاتجاه. إضافة إلى كل ذلك أن ظروف الشاعر الجسمانية أيضا أثرت تأثيرا كبيرا على نفسانيته، فإنه كان في تلك الفترة على سرير المعالجة ويعاني من المرض الشديد، إذن إنه يستخدم في شعره النبيّ أيوب عليه السلام ويذكرنا بألامه وهمومه، وكيف أنه صبر ولم يستسلم حتى انتصر. وفي الواقع أنه يحاول من وراء استدعاء هذه الشخصية دعوة نفسه والأمة العربية إلى السعي والأمل والنجاح وعدم الاستسلام أمام المصائب.

التعليق على قصيدتي "انتصار أيوب" و"هموم أيوب"

كتب شاذل طاقة قصيدة "انتصار أيوب" سنة ١٩٦٥م مرثية للسياب، وظّف فيها قصّة النبيّ أيوب عليه السلام بصورة رمزية؛ فأيوب الذي يتحدث عنه الشاعر ليس أيوب في المرجعية الدينية، بل شخصية أيوب فيها إشارة إلى السياب ذاته، ذلك الشاعر الذي ظلّ طوال حياته متطلعا إلى الثورة والتحرر من الاستعباد المائل في حكم الأنظمة الرجعية.

تشكل القصيدة من ستة مقاطع مختلفة الطول وقد بدأها الشاعر بالتكلم عن أيوب ومعاناته من مرضه الذي ثقل عليه وكيف أن السماء حزينة وتبكي له، وأنّ بناته يندبنه ويدعون له بالشفاء وطول الحياة. ونرى كيف يشبه الشاعر شخصية أيوب بتموز إله الخصب والتجدد، مؤكدا خلال هذا الرمز أنه يعود ليملا الأرض خصبا ونعيما:

ظَلَّ أَيُوبُ الْمُدْمَى يُمْنِي / ونفسه، والموتُ يَسْتَلُّ نَبْضَهُ / وَالسَّمَاءُ الْحَزِينَةُ تَزْرَعُ
أَرْضَهُ / مطراً يغسلُ النهر، يبكي.. يُغْنِي / والعذارى الهلوعات يندبن تموز: / ليت
سمانا تستجيبُ دُعانا.. وتُشفى أبانا! (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٣)

وتصل القصّة إلى ذروتها في المقطع الرابع حين يخبر الشاعر بصورة غير مباشرة بانبعث أيوب من جديد بعد إخباره بموته في المقطع السابق، فيقول إنه بعد أن مرّت سنوات عديدة تتألق فجأة نجمة في الأفق ذات ألوان متنوّعة: بيضاء وخضراء وحمراء وسوداء (الوان علم فلسطين)، وتُسرّ بناته ويدرين أن دعاءهن استجيب وعاد أبوهن إلى الحياة:

وَأَرْنَتُ.. / فجأة في الأفق نجمه / ذات ألوانٍ حبيبة / فهي بيضاء.. وخضراء..
وحمرأء.. وجهمه.. / والتلاوين عجيبة (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٦)

والشاعر في المقطع الأخير يقول بشكل غير مباشر: صحيح أن أيوب/السياب مات، لكن صوته بقي يرن في كل سمع داعيا إلى النهوض وتحرير الأرض وأخذ الثأر بلسان أيوب:
وأتى الغابة المستباحة، والصبحُ طفلُ / صوتُ أيوبٍ يحدو / موكبًا، ها هناك،
يغور .. ويعلو / والصدى رنَّ في كلِّ سمع: / «إن بالشعب الذي دون سلعٍ / لقتيلاً دمه
ما يطلُّ» (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٨)

أما قصيدة "هموم أيوب" فكتبها الشاعر في ستة مقاطع سنة ١٩٧٢ أي بعد حرب الأيام الستة واحتلال إسرائيل لأراضي الضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان. ويزامن ذلك مع أيام مرضه في المستشفى في برلين. استخدم الشاعر فيها رمز أيوب متأثرا بما فعله السياب في "سفر أيوب". وقد رمز به إلى ذاته وإلى معاناته من المرض الذي ثقل عليه، ومعاناته أيضا من احتلال فلسطين وهو ما عبّر عنه بـ "هموم أيوب".

يستهلّ الشاعر هذه القصيدة بوصف نفسه وهو في حالته المرضية فيتحدّث عن آلامه ومحنه والبلايا التي ابتلي بها، ويجعل من حالته هذه صفة لأرض فلسطين التي احتلّها اليهود فإنّها مريضة مثله بسبب الاحتلال:

قلبي يخذلني.. / ما عاد يطاوعني.. بيست شفتي ولساني / أرضي المحروقة ما بلّتها
قطرة ماء / ما شقّتها سكة محراث / ما زانتها خضرة عشب.. أو واحة تلج / أولادي
ابتلعهم شدق من ملح وتراب / كفي ارتعشت.. عيني عشيبت.. (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤١)

هكذا يقترب شاذل في المقطعين الأول والثاني من قناع أيوب النبي فيتكلّم بصيغة التكلّم، فإنّه يرى صورته في صورة أيوب النبي ﷺ الذي ابتلي بمحن كثيرة لكنّه، لم يفقد صبره ولم يلوّث شكره الصايغ بالكفر؛ فإنّه أيضا كأَيوب النبي لا يستسلم للمحن فهو يهزل وينزف ألما لكنّه يرفض الاستسلام للموت:

هذا العربيُّ الّيدعى أيوب / ما زال يعيش / يرفض أن يفنى / يهزل .. ينزف..
لكن يرفض أن يمضي / يمسك آخرَ خلجة / يعصر آخرَ قطرة / يحبس آخرَ
أنفاسه / لكن يرفض أن يمضي (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٢)

ثم يتكلّم الشاعر عن همومه الكبيرة متّجها نحو أرضه المسروقة في المقطع الثالث، وكأنّه يحتسب احتلال الوطن الفلسطيني من قبل العدو الإسرائيلي أيضا من هموم أيوب. ونرى في

هذا المقطع إشارة الشاعر إلى المقاومة الفلسطينية بشكل غير مباشر، فالشاعر يريد التوكيد على حيوية الأمة ومقاومتها وأن الشعب الفلسطيني سيأخذ يوماً الثأر من العدو الغاصب اليهودي:

أرضي افترع الفاصبُ عذرتها/ شقَّ بكارتها.. / والبذرة ما زالت تنمو/ في
الرمل غصون السكاكين وبنادق/ تبعج في يوم ما قلب القرصان.. تنفت زُقومًا او
غسلين/ من رحلة سينين (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٣)

وبالرغم من أن القصيدة مفعمة بمعانٍ كلها ألم وجراح وداء وابتلاء ومصائب ومحن، لكنّها تتأرجح بين اليأس والأمل، والخوف والرجاء. وفي النهاية يختم الشاعر قصيدته بالتفاؤل الواضح، فيرى في المقطع الأخير أنه كما أفضي الأمر بأيوب النبي إلى السلامة والخلاص وكما جاءت حمامة نوح له بخبر الحياة فإن حمامة شاذل ستجئ يوماً بخبر مفرح، وأن همومه ستزول أيضاً، يشفى هو من مرضه وتحرر فلسطين من الاحتلال.
أيوب.. أيا أيوب.. / الأبواب الكانت موصدة.. / توشك أن تتشقّ وينهمر المطر
الأخضر/ وحببتك أما أحببت سواها.. / ستعود.. تعود.. / وتعود إلى أيوب
حمامته/ والسر الموعود.. / وتزغرد هيلة والبيدرا (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٧)

رمزية أيوب عليه السلام في القصيدتين

أيوب رمز للصبر والأمل

أيوب رمز قرآني للمبتلى بالمرض الصابر عليه، فقصته عليه السلام من أروع قصص الابتلاء والصبر، وهي ذاتة مشهورة حتى يضرب المثل بصبر أيوب عليه السلام. قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص/٤٤) وبذلك يدعو رسولنا الأكرم إلى تذكر قصته وحكايتها للمسلمين كي يصبروا على المشاكل الصعبة التي كانت تواجههم ولا ييأسوا من لطف الله ورحمته (مكارم الشيرازي، ١٣٨٤: ٣٢٨)، فهو أنموذج للصبر والاستقامة وهو رمز توراتي أيضاً. وإن شاذلا تأثر بأيوب القرآني واستدعاه في فترات من تجربته الشعرية رمزا للصبر على البلاء والأمل بالفوز والنجاح.

يسعى الشاعر إلى تثبيت الموقف المعنوي وبعث روح الأمل والصبر والمقاومة في النفوس عبر استخدام شخصية أيوب عليه السلام في قصيدتيه المذكورتين. تجمع هاتان القصيدتان بين متضادين، هما الصراع والتزاع بين الموت والخيبة والإستسلام والجفاف من جانب، وبين الحياة والسعي إلى الانبعاث والنجاح وعدم الاستسلام من جانب آخر. وفي النهاية تنجح

قوى الخير في التغلب على قوى الشر، فنرى في القصيدتين أنّ أيوب عليه السلام ينبعث من مرضه وموته ويعود إلى الحياة من جديد فتزول آلامه وهمومه، وتتحرر فلسطين من الاحتلال. ويبشّر شاذل في قصيدة "انتصار أيوب" بصورة غير مباشرة بانبعاث أيوب؛ يشبه عودته إلى الحياة بطلوع فجر في الصحراء:

واستفاقت عذاري النّخيل تُطِلُّ: / أترى أنّ سمانا / استجابت لدعانا؟ / أهو
الفجر تُرى... أم أنه حلم العذاري / جاب أطراف الصحاري / وأتانا...! (طاقة،
١٩٧٧: ٣٧٧)

أيوب رمز للشاعر بدر شاكر السياب

كتب شاذل طاقة قصيدة "انتصار أيوب" بعد موت السياب بحوالي ٢٥ يوماً متأثراً بموته، وأهداه هذه القصيدة. وربما أراد أن يوازن بين قدراته التعبيرية وبين شاعر كبير مثل السياب فضلاً عن رغبة الشاعر بالإعلاء من شأن السياب الذي اتخذ أول محاولة للمزج بين البحور جاءت متواضعة وحذرة، فأراد الشاعر أن يرد إليه جزءاً يسيراً من الفضل الذي أعطاه للأدب وللشعراء معاً مقدماً له قصيدة ممزوجة ببحور ثلاثة (المديد والمتدارك والرمل) بنجاح تام.

نستدل من عنوان القصيدة (انتصار أيوب) أنّها تحاكي "سفر أيوب" التي كتبها السياب وتفتّح فيها شخصية النبي أيوب عليه السلام، لكن الشاعر شاذل طاقه يلتقي مع شخصية أيوب المائل في القصيدة وليس المخبر عنه في المرجعية الدينية، وهذا يعني أنّ شخصية أيوب في قصيدته هذه إشارة إلى السياب ذاته ذلك الشاعر الذي ظلّ طوال حياته متطلعاً إلى الثورة والتحرر من الاستعباد المائل في حكم الانظمة الرجعية.

حينما يتكلم الشاعر عن أيوب وآلامه وعذاباته في مرضه يذكرنا بالسياب الذي أصيب بمرض السل الرئوي في الخمسينات، حتّى إذا تفاقم عليه المرض - الذي كان من الأمراض الصعبة العلاج آنذاك - توجه إلى لندن للمعالجة، فكان ابتلاءه كابتلاء أيوب عليه السلام حيث المرض والألم والحزن والجراح والداء والابتلاء. يقول شاذل وهو يصوّر كيف أضنى المرض أيوب:

ومضى أيوب في محنته يرقى إلى الموت جَسورا / ومضى الطاعون تفرى قلبه، تذرو
البثورا / في الشرايين.. وتحتلّ جروحه / والردي يمتصّ روحه (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٤)

ويخبر الشاعر بخلود السياب وشعره وأدبه في آخر قصيدته، وهو يقول أنّ أيوب مات لكن صوته بقي بعده يقتدى به الناس (الشعراء والأدباء والمناضلين):

وأتى الغابة المستباحة، والصبح طفلاً/ صوت أيوبَ يحدو/ موكباً، ها هناك،
يغور .. ويعلو (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٨)

ونرى التأثر بالسياب واضحاً في القصيدة، فإن شاذلاً إضافة إلى مزج الأبحر الثلاثة في
قصيدة واحدة مثل السياب، وظّف الرمز الاسطوري تمّوز كما فعل السياب بكثرة في
نصوصه، وهو رمز الخصب والتجدد كما هو إشارة إلى أيوب/ السياب نفسه:

والعدارى الهلوعات يندبن تموز:/ ليت سمانا/ تستجيب دعانا.. وتشفي أبانا!
(طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٣)

ويلاحظ أيضاً في المقطع الأول أن شاذل طاقه في استعمال عبارة "مطرا بيكي" تأثر
بالسياب في قصيدته "انشودة المطر":

«أتعلمين أي حزن يبعث المطر؟/ وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟» (السياب،
٢٠٠٥: ج١/١٢٠)

أيوب رمز لفلسطين

يمكن أن يكون أيوب شاذل رمزاً لفلسطين التي احتلها اليهود في حرب الأيام الستة (٥
حزيران ١٩٦٧)، فهي مريضة بسبب الاحتلال وظلم العدو الإسرائيلي الذي يسفك دماء
الناس المظلومين وينشر الفساد والخبث في البلاد ولايرحم الصّغير والكبير، فهي مريضة
تهزل وتنزف ألماً، لكنّها ترفض أن تفنى، تتمرد رافضة الاستسلام للعدو الغاصب:

هذا العربيّ الّيدعى أيّوب/ مازال يعيش/ يرفض أن يفنى/ يهزل.. ينزف.. لكن
يرفض أن يمضي/ يمسك آخر خلجة/ يعصر آخر قطره/ يحبس آخر أنفاسه/ لكن
يرفض أن يمضي/ يتمرد يرفض أن ينتحر الأيّوب (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٢)

والعدو الإسرائيلي يسعى حثيثاً إلى إقامة دولة اليهود في المنطقة بكلّ أنواع الطرق
الوحشية والعدوانية، ويمدّ جذوره في كلّ المدن. إذن أيوب/ فلسطين في حالة احتضار راقيا
سلمّ الموت درجة حتى يموت/ يحتلّ ويدعو الشّاعر النّاس إلى الصّبر والتّحمل سخرية،
فهو يرى أنّ الشقاء الّذي سيصيب النّاس بعد موت أيوب/ احتلال فلسطين ليس أقلّ من
موت أيّوب. يقول شاذل:

مات أيّوب فقلّ للحرّاني:/ أهل ودّي اشربوا الصّبر كأساً فكأساً/ لا تثوروا..
لا تدمّموا الزمانا/ إن هول الرّدى ليس أقسى/ يا حرّاني، من شقاء الحرّاني
(طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٥)

لكنّه يحلم بعودة الأراضي المحتلة، فيعبّر بشكل غير مباشر عن أمله هذا في المقطع الثالث حيث يشبّه انبعاث أيوب/تحرّر فلسطين بتألق نجمة ألوانها بيضاء وخضراء وحمراء وسوداء (ألوان علم فلسطين):

وأرنت.. / فجأة في الأفق نجمة / ذات ألوان حبيبة / فهي بيضاء.. وخضراء..
وحمراء.. وجّهه.. / والتلاوين عجيبة (طاقة، ١٩٧٧: ٢٧٦)

إنّ النجمة تظهر بألوان مختلفة في نظر الشاعر الذي يقرر أنّ تلاوينها عجيبة، فهي حينما تتماوج بين البياض والخضرة والحمرة والدكنة فإنّما تعلن عن حالة مدهشة، ودهشتها وعجبها يكمنان في عدم استقرارها على لون واحد.

أيوب رمز للفلسطيني المظلوم

كما يوظّف عزّ الدين المناصرة الشاعر الفلسطيني شخصية المسيح عليه السلام ليصوّر آلام الشعب الفلسطيني ومعاناته، لأنّه يرى لها علاقة وثيقة بفلسطين وبالظلم الواقع على الإنسان الفلسطيني من التشريد والظلم والقتل والمؤامرة وظلم اليهود عليهم، يقول:

أنا والمسيحُ الذي كان جارَ الكروم / نراقبُ نجمَ المجوسِ / فنلمحُ في الفجرِ
عاشقةً تنتظر / وكفّاي قد شُققت / كثياب المسيح على اللوح / في ساعة الصلبِ
والمعجزاتِ / أنا منزلٌ خلعوه، ورشّو الرمادِ / على أنهر الذبح والسبجاتِ (المناصرة،
٢٠٠٦: ج٢/٢٨٥)

وظّف شاذل أيوب عليه السلام لهذا الامر؛ فهو يرى أنّ الشعب الفلسطيني كأَيوب ابتلي بمصائب ومحن كثيرة، وأنّ العدو الإسرائيلي احتلّ بلادهم ولايرحم صغيرهم وكبيرهم، وأنّ أرضهم احترقت بنار العدو الغاصب وما بقيت فيها خضرة عشب أو واحة تلج، وأنّ أولادهم قتلوا بيد اليهود الظالمين وما ظلّت فيهم قوة للحياة، قائلاً على لسان أيوب:

أرضي المحروقة ما بلّتها قطرة ماء / ماشقّتها سكة محراث / ما زانتها خضرة
عشب.. أو واحة تلج / أولادي ابتلعهم شدق من ملح وتراب / كفي ارتعشت.. عيني
عشيت.. (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤١)

لكن الشعب الفلسطيني رغم هذه المصائب لن يستسلم أبدا أمام العدو الغاصب، وهو يقاوم حتى آخر أنفاسه لأجل الحرية، ولا يقبل الذلّة والاستسلام لليهود:

يمسك آخر خلجة / يعصر آخر قطرة / يحبس آخر أنفاسه / لكن يرفض أن يمضي /
يتمرد يرفض أن ينتحر الأيوب / هذا البدوي اليدعي الأيوب (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٢)

إنه يشير بشكل غير مباشر إلى المقاومة الفلسطينية قائلاً إن أهل فلسطين سيقتسمون من العدو المحتل الغاصب في المستقبل القريب:

والبذرة مازالت تنمو/ في الرَّمْل غصون السكاكين وبنادق/ تبعج في يوم ما
قلب القرصان.. تنفت زقوما او غسلين/ من رحلة سينين (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٣)

وتجدر الإشارة هنا أن لفظتي "الزقوم" (شجرة تنمو في جهنم حسب قول الله تعالى في القرآن) و"الغسلين" (صديد أهل النار أو شجر فيها) من الألفاظ التي اتسمت بسمات دينية وأن شاذلاً قد تأثر هنا بالقرآن الكريم وتناصّ مع هذا الكتاب السماوي تناصاً لفظياً حيث قال الله تعالى في سورة الواقعة مخاطباً الكفار: ﴿لَا كَلُومَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ (الواقعة/٥٢) وقوله تعالى أيضاً في سورة الحاقة عن عاقبة المجرمين الآثمين: ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ (الحاقة/٣٦) ويريد شاذل أن يشير من خلال هذين اللفظين إلى انتقام الفلسطينيين من العدو بجعل حياتهم جحيماً طعمها طعم الزقوم والغسلين.

وفي نهاية القصيدة يبشّر الشاعر أيّوب/ الفلسطيني بأنه سوف تفتح الأراضي المحتلة قريباً، ويكاد أن ينهمر المطر وتخضر الأرض من جديد، وأنّ الحبيبة/ فلسطين التي ما كان يحب سواها ستعود إليه و...

أيّوب.. أيا أيّوب.. / الأبواب الكانت موصدة.. / توشك ان تنشق وينهمر المطر
الأخضر/ وحببتك ألما أحببت سواها.. / ستعود.. تعود.. / وتعود إلى أيّوب
حمامته.. / والسرّ الموعود.. / وتزغرد هيلة والبيدرا! (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٧)

ويلاحظ أنّ الشاعر تناصّ هنا مع قصة نوح عليه السلام في التراث الديني حينما يأمل بعودة الحمامة إلى أيّوب، إذ نقرأ في القصص القديمة أنّ النّبي نوحاً لما توقّف الطوفان أرسل حمامة ليعرف وضع الأرض، فجاءته الحمامة بغصن الزيتون، فعلم أنّ على الأرض حياة، فنزل وأصحابه من السفينة ليزاولوا حياة جديدة يعمّها السلام. ولعلّ شاذلاً يقصد من خلال هذا التناص إثارة روح الثبات والأمل بمستقبل مليء بالسعادة لدى الفلسطينيين الذين يعانون من ظلم العدو المحتلّ.

أيّوب رمز لتموز

إنّ أيّوب في هاتين القصيدتين يموت ثم ينبعث من جديد، ليملاً الأرض نعيماً وخصباً ويخلص الإنسان الحرّ من الظلم في البلاد، وهذا هو تموز في الأساطير البابلية الذي كان

رمز الخصب والتجدد وهو يعادل دموز في الثقافة السومرية، وأدونيس في الثقافة الإغريقية وفي بلاد سوريا وفلسطين. وكما يلعب مسيح عليه السلام دور تموز في قصائد السياب ففي قصائد شاذل أيوب عليه السلام هو الذي يأخذ هذا الدور على عاتقه، فهو يظهر بشكل بارز بهذا الدور في قصيدة "انتصار أيوب"؛ لأن شاذلا يستخدم مباشرة لفظ تموز لأيوب حيث يقول «والعذارى الهلوعات يندبن تمون» ثم يشير في المقطع الثالث - كما قلنا سابقا - إلى موته، وفي نهاية القصيدة يبشر بانبعاثه وعودته إلى الحياة وصوته يرن في كل سمع قائلا:

وأتى الغابة المستباحة، والصبحُ طفلُ / صوتُ أيوبَ يحدو / موكبا، ها هناك،
يغور .. ويعلو / والصدي رن في كل سمع: / «ان بالشعب الذي دون سلع / لقتيلاً دمه
ما يطل» (طاقة، ١٩٧٧: ٣٧٨)

أيوب رمز للشاعر شاذل طاقة

كتب شاذل طاقه قصيدة "هموم أيوب" حينما كان في برلين على سرير المعالجة وقد تعرض لانتكاسة صحية قاسية، فهو في تلك الحالة يتذكر أيوب النبي (ص) كيف صبر وتحمل المصائب، حتى خرج من بودقة الإمتحان الإلهي ونزلت الرحمة الإلهية عليه، فيراه خير نموذج لحالته النفسية، ومن هنا يستخدمه ويرمز به إلى ذاته وإلى معاناته من المرض الذي ثقل عليه وإلى معاناته أيضا من احتلال فلسطين، وهو ما يعبر عنه بهموم أيوب. ويلاحظ أن شاذلا في هذه القصيدة يتقنع بقناع أيوب، ويمتزج مع رمزه حتى تخالهما حقيقة واحدة لا يمكن التمييز بينهما، فكان كل واحد منهما هو الآخر. يقول أيوب / شاذل شاكيا آلامه:

قلبي يخذلني .. ما عاد يطاوعني .. بيست شفتي ولساني / ... / أولادي ابتلعهم
شدق من ملح وتراب / كفي ارتعشت .. عيني عشت .. (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤١)

وكما أفضى الأمر بأيوب النبي عليه السلام إلى السلامة والخلص، يرى شاذل أن همومه ستزول أيضا، يشفى هو من مرضه وتتحرر فلسطين من الاحتلال.

توشك أن تنشق وينهمر المطر الأخضر / ... / وتعود إلى أيوب
حمامته .. / والسر الموعود .. / وتزغرد هيلة والبيدرا! (طاقة، ١٩٧٧: ٤٤٧)

استخدم الشاعر هنا عناصر لتكريس دلالة الاستبشار والأمل المنشودين في نهاية القصيدة وهي: المطر الأخضر - المطر رمز للخصب والحياة المتجددة ويعزز هذه الدلالة اقترانه مع اللون الأخضر الذي يدل على الأمل والطاقة والحياة والخلود - والحمامة - وهي

ترمز للسلّم والأمل - والبيدر - وهو رمز للكثرة والسعادة والبهجة. (شواليه وگربران، ١٣٧٩ش: ١٨ و٨٩ و٥١٨ و٥٢٦) وهيلة المأخوذ اسمها من الهيل بما له من دلالة على العطر الطبيعي. وكلّ هذه العناصر منسجم مع مقصد الشاعر من استحضار شخصية أيوب عليه السلام في هذه القصيدة ويخدمه وهو توطين الشاعر نفسه ومواطنيه على الأمل بمستقبل مشرق مليء بالسلم والصحة والسرور والبهجة بعيدا عن الحرب والقتل.

محن أيوب وهمومه

أيوب شاذل كأيوب القرآن مبتلى بمحن وهموم كثيرة منها معاناته من المرض، فيقول شاذل في المقطع الأول من قصيدة "هموم أيوب":

قلبي يخذلني.. / ما عاد يطاوعني.. ييسست شفتي ولساني /... / كفي ارتعشت.. عيني عشيت / شفتي ارتجفت.. لكني ما زلت أعيش (طاقه، ١٩٧٧: ٤٤١)

ويقول في المقطع الثاني من قصيدة "انتصار أيوب":

ومضى أيوب في محنته يرقى إلى الموت جسورا / ومدى الطاعون تفري قلبه، تذرو البثورا / في الشرايين.. وتحتل جروحاه / والردي يمتص روحه (طاقه، ١٩٧٧: ٢٧٤)

وفي الحقيقة أنّ شاذلا يرمز بالأم أيوب ومحنه إلى آلامه وآلام شعبه ووطنه العربي الذي يشمل العالم العربي كلّ وليس العراق وحسب. فهي تشمل آلام شعب فلسطين والجزائر وكلّ الأمم العربية التي تعاني من استعمار المحتلّين الغاصبين.

إنّ أشدّ ما أذى وآلم روح أيوب النبي عليه السلام هو شماتة الأعداء حسب الروايات. (انظر: مكارم الشيرازي، ١٣٨٤: ٢٤٠) وبالنسبة لأيوب شاذل احتلال فلسطين هو أشدّ شيء مؤلم يعاني منه، وقد فتح في نفسه جرحا يحسّ بألمه وهو غير قادر على ضماده، لأنّ يديه كانتا أضعف من أن تضمدا جراحها. وهو شاعر مناضل ضدّ كل قوى التخلف والرجعية والاستعمار وشاعر قومي سخّر شعره من أجل القضية والانتماء، وهو يرى أنّ الأرض العربية واحدة لا تتجزأ، وأنّ العدو المغتصب واحد أيضا مهما تلوّن وتعدّد، فنراه يحتسب احتلال فلسطين من قبل اليهود من هموم أيوب:

أرضي افترع الغاصب عذرتها / شقّ بكارتها.. (طاقه، ١٩٧٧: ٤٤٣)

ويكرّر هذه الصورة الجنسية مرّة أخرى حينما يريد أن يعبر عن كرهه لاحتلال اليهود لفلسطين غصبا وبقوة السلاح، وهو يرى أنّ العدو غير جدير بهذه الأرض:

يا أرضاً عذراء افتضّ بكارتها أفاق عني (طاقه، ١٩٧٧: ٤٤٤)

في هذا التعبير يعمد شاذل إلى توبيخ وطنه بطريقة غير مباشرة، حيث شبهه بفتاة عذراء سمحت للعدو الغاصب أن يتجاوز عليها ويغتصبها. وربما قصد من وراء ذلك إثارة غيرة شعبه للدفاع عن وطنهم المفضول.

النتائج

وحققت هذه الدراسة عدّة نتائج نشير إليها باختصار:

١. كان شاذل طاقة واحدا من رواد الحركة الشعرية الجديدة في وعيه بضرورة التجديد التي طرحها في المقدمة المشار إليها وفي النماذج الشعرية التي قدّمها مبكرا.
٢. إن الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة في العالم العربي وظروف الشاعر الجسمانية ساقته الشاعر إلى توظيف رموز مختلفة في شعره، ومنها شخصية أيوب رمز الصّابر المبتلى، فاستحضره بملامحه القرآنية وأحيانا تقنّع بقناعه. وهو يراه خير مثال للتعبير عن هواجسه وتجربته المعاصرة، سعيا من ورائه إلى الحث على الصبر والسعي لأجل الحرية وعدم الاستسلام أمام المصائب. ويظهر من تحليل القصيدة أنه قد وفق في استعمال الرموز وإيصال أغراضه السياسية إلى المتلقي.
٣. يتجلّى هذا الرمز بصور مختلفة في شعره، وهذه الصور مأخوذة من حياة الشاعر وأوضاع عصره الاجتماعية والسياسية: أيوب رمز للشاعر بدر شاكر السياب، أيوب رمز لتموز، أيوب رمز لفلسطين، أيوب رمز للفلسطيني المظلوم و... .
٤. إن الشاعر شأنه كشأن بعض شعراء جيله - ومنهم السيّاب - لم تسيطر عليه روح التشاؤم، على الرغم من أنه ينتمي إلى جيل الشعراء الرومانطيين الذين استسلموا في الغالب للظروف القاهرة التي حالت بينهم وبين أمانهم وأحلامهم، فعلى الرغم مما نلحظه من ألم حسي وتمزق نفسي في القصيدتين إلا أننا نحسّ بوثة تفاؤلية واضحة في نهاية القصيدتين؛ فإن أيوب ينبعث من موته ومرضه من جديد سليما معافا وتتحرر الأراضي المحتلة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٨٨م). *لسان العرب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢. البزاز، سعد (١٩٧٧م). *شاذل طاقة، السيرة والإنجازات ضمن المجموعة الشعرية الكاملة*. بغداد: منشورات وزارة الاعلام.
٣. البستاني، بشرى (٢٠١٠م). *في الريادة والفن، قراءة في شعر شاذل طاقة*. عمان: دار مجدلاوي.
٤. البياتي، عبدالوهاب (١٩٩٥م). *الأعمال الشعرية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥. التونجي، محمد (١٩٩٩م). *المعجم المفصل في الأدب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
٦. رسولي محلاتي، سيد هاشم (١٣٨٦ش). *تاريخ انبياء: قصص قرآن از آدم تا خاتم النبيين*. قم: مؤسسة بوستان كتاب.
٧. الزين، سميح عاطف (٢٠٠٥م). *قصص الأنبياء في القرآن الكريم*. القاهرة: دار الكتاب المصري.
٨. السامرائي، ماجد (١٩٧٦م). *شاذل طاقه دراسة ومختارات*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٩. _____ (١٩٩٩م). «ربع قرن على غياب الشاعر شاذل طاقة، البعد الآخر للحدائث في الشعر». *مجلة الأقلام*، العدد ٥.
١٠. السياب، بدر شاكر (١٩٧١م). *ديوان بدر شاكر السياب*. بيروت: دارالعودة.
١١. شواليه، جان؛ گربان، آلن (١٣٧٩ش). *فرهنگ نمادها: اساطير، رؤياها، رسوم*. ترجمة وتحقيق سودابه فضايلى، تحرير عليرضا سيداحمديان، طهران: انتشارات جيحون.
١٢. صليبي العائدي، كاظم (١٩٨٠م). *شعر شاذل طاقة، دراسة نقدية*. أطروحة الماجستير، القاهرة: كلية دارالعلوم.
١٣. طاقة، شاذل (١٩٧٧م). *المجموعة الشعرية الكاملة*. جمع وإعداد سعد البزاز، بغداد: منشورات وزارة الإعلام.
١٤. عزالدين، يوسف (١٩٧٣م). *في الأدب العربي (بحوث ومقالات نقدية)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥. عشري زائد، علي (١٩٩٧م). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة: دار الفكر العربي.
١٦. العلامة المجلسي (٢٠٠٧م). *قصص الأنبياء*. تحقيق محسن عقيل، بيروت: دار المحجة البيضاء.
١٧. المطليبي، مالك (١٩٧٤م). *التجربة العروضية في شعر شاذل طاقة*. مجلة الف باء، العدد ٣٢٠.
١٨. مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٨٤ش). *قصص القرآن (مقتبس من تفسير الأمل)*. إعداد سيد حسين الحسيني. قم: مؤسسة انصاريان.
١٩. المناصرة، عز الدين (٢٠٠٦م). *الأعمال الشعرية*. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.